مجرد حنين

تعرفت عليه .. تعلقت به إلى حد الجنون !! تورطت معه .. أكتفت بـه و لـم تكتـف منـه !! ثـم تفرقـا ، حاولـت أن تنسـاه .. لكنهـا لـم تسـتطع رغـم مـا فعـل .. ودائمـا مـا تتذكره .. حنينهـا إليـه يـزداد يومـا بعـد يـوم .. فتكتـب إليـه رسالة :

كلمـا حاولـت أن اكتـب عنـك ، يـأبى قلمـي ويـدمع قلبـي وتتدفق شلالات الدموع من عيوني ، وتمر ذكرياتي معك كشريط لا يتوقف ، حتى يغلبني النوم !!

أعترف بأنني أحببتك أكثر مما ينبغي !!.. لكنك لا تعلم ولن تعلم ، ليتنا ما التقينا !! .. وهل حقا التقينا ؟! لا .. لم نلتق ولن نلتقي أبدا !!؟

لقـد صـنعتك مـن وحـي أوهـامي ، ونسـجت فـي خيـالي قصـص و روايـات وحـوارات معـك لا تنتهـي ، ليتنـي مـا عرفتك !! .. وهل عرفتك حقا ؟؟! أبدا لـم أعرفك ! ..

لقد رسمت صورة مثالية لك ، وعشقت تلك الصورة ، تصورت رجولتك .. شهامتك .. اهتمامك بالجميع ومساعدتك لهم .. تخيلتك ملاكًا يضحي براحته من أجل غيره .. يعطي و يعطي بلا مقابل !!

تخيلتك أخا و أبا وصديقا ، كنت عندك مجرد عابرة ، وأنا جعلتك وطنا .. كنت أحب حضورك وأمقت غيابك .. كنت أُجن عندما تغيب يوما ، وأسأل عنك كل عابر يمر، لم يهمني أن يتهموني بك أو يُساء الظن بي ، كان الشوق يقتلني ويفقدني عقلي !!

كنت أشتاق إليك حتى وأنت تحادثني ! عشقت كل شيء يخصك ، كلماتك .. أهلك .. موطنك .. حتى عتابك وجرحك لي أحببته !!

حتي تلك التي ظننتها حبيبتك ، أحببتها رغم غيرتي منها ، قلت لي إنها لم تكن غير عابرة مثل الجميع ..علمت بعدها إنها فتاة من فتياتك الكثيرات التي لم أرهن !! كنت توهمني بأنهن أخوات حولك وأنت تساعدهن !! ، حكيت لي عن الجميع .. ظننتها ثقة منك ،علمت بعدها

إنك كنت تثير غيرتي عليك ! كم أخشى أن تحكي لهن عني !!

ليتك لا تفعل !، لم يكن بيننا ما يشين ، ولكن مجرد أن تحكي عني كأنني مثلهن عابرة ، مؤلم جدا يا صديقي !!

لقد كنت أقرب إليَ من ذاتي .. كنت تسمعني باهتمام ، وتقلق عليَ بشغف أخ و تحاسبني مثل أب يخشى علي إبنته .. كان يروق لي اهتمامك و يبهرني حضورك .. كنت تحتويني بكلمة واحدة تقولها لي !!

كنت أحس ذلك كله أو أتوهمه .. لا أدري ؟!

أحسست حنانك و حبك .. أتذكر عندما مرضت وظللت تتصل بي كل يوم ، بل كل لحظة بلهفة واهتمام وخوف ، وقتها أحببت مرضي لأنه جعلك أبا كنت أفتقده ولازلت ، قلت لي وقتها إنك مرضت لمرضي ، وأجلت سفرك لتطمئن عليَ .. كم فرحت وقتها ، وكأنني شفيت من أي مرض و خلعت رداء كل ألم وحزن !!

كنت سعيدة أن لدي شخصًا يخاف عليَ من الألم ، ويجعلني في أول اهتماماته ، ويُهون من حجم مشكلتي ، ويخبرني أنه لا شيء يستحق حزني !!، فأحببتك بكل ما أوتيت من مشاعر، وخذلتني بكل ما أوتيت من قوة !!

يا أنت !

أنا لم أحبك مثلهن ، لم أعشقك عشق ليلى لقيس ، ولم أتخيل نفسي بأحضانك ، لم أحلم حتى بقبلاتك ، لم يكن حبي لك اشتهاء بل كان احتواء !!

لقد أحببت الأمان و الراحة التي وجدتها لديك .. ظمئي للاهتمام جعلني أغرق في بحور عطفك ، جعلني أتمسك بك كثيرا .. جعلتك عائلتي وملجئي دوما بعد الله !

كنت أشعر إنك تعرفني أكثر مني ، إنك تحس بي رغم آلاف الأميال بيننا !!

لقد صَدقت إنك معي ! نعم كنت أشعر بك هنا ، لن تصدق أبدا أن روحانا كانتا تتلاقى !!.. ستقول كعادتك إنني مجنونة !، نعم مجنونة بك !!

يا أنت !

ألا تـذكر لـي شـيئا ؟! ألا تتـذكرني أبـدا ؟! لقـد كنـت تمدني بالحياة ، قلت لك إنك رمانة الميزان لحياتي ولم تفهم .. فقدت توازني بعد فراقنا ، أنا أتألم وأنت لا تبالي!

كنت أقرب الناس إليك .. أشعر بألمك ، وأفرح لفرحك . أقلق لقلقك .. لم نكن نفترق ابدا ، فمتى كنت تحدثهن وتعيش كل تلك الروايات التي سمعتها عنك منهن !؟

واليوم أشعر إنك غريب ، وكأنني ما عرفتك أبدا و لا تحدثت معك عمرا !! ليتك تعلم إنني صَدقتك حتى و أنت تكذب !! والتمست لك آلاف الأعذار، سامحتك على قتلي و ذبحي و أنت أذقتني مر التعلق و خذلتني آلاف المرات !!

يا أنت !

اعلم إنني تركتك لأنني أحبك ، وأخشى أن أجرحك ، أخشى أن أواجهك بمغامراتك وكذبك ونفاقك وخداعك للجميع ، فابتعدت وأنا مصدومة منك و منهارة تماما !! ابتعدت وقلبي يتمزق كل ليلة

مـرت أعـوام لـم أعـد أحصـيها ، بـدونك صـارت الأيـام سقيمة ومملة لا مذاق لها !!

فـي غيابـك لـم يعـد العيـد يـأتي ، ولا الفرحـة التـي كنـت أحسها بوجودك !! لم يعد قلبي ينبض لكنه يبكي اشتياقا و يتمزق حنينا إليك .

في غيابك غاب عني كل شيء ، حتى أنا لم أعُد منك !

يا أنت !

أعلم إنك لن تقرأ و لن يصلك كلامي أبدا !، أعلم إنك لا تتذكرني و كأننا لم نلتق أبدا !! و بالرغم من ذلك فإنني لم ولن أنساك أبدا !!

يا أنت !

اعلـم إنـك حلمـي المسـتحيل ، ولكننـي كعـادتي أعشـق المستحيل ، أو كأنني أتلذذ بالعذاب والألم !!

وأي ألم هذا ؟!

أن أحبك وأنا أعلم كم أنت سيء ؟! أن أحبك و أنت لن تكون أبدا لي !! أن أحبك و أنت لا تعلم و لن تعلم أبدا !

يا أنت !

اعلم إنك ذبحتني بحضورك !، وأنا عاقبت نفسي بغيابك !

اخترت الفراق لأعصم نفسي من الخطأ ، وأعصمك من العتاب والكذب والمكابرة ، اخترت الابتعاد رغم إنه الموت بالنسبة لي ، اخترت أن تعيش أنت و أموت أنا كل ليله تمر بلا رسائلك بلا سؤالك !! بل أموت كل لحظة تمر لا أسمع فيها صوتك !!

أقسمت لي أن تظل سندى و ألا نفترق .. لكنك أجبرتني علي الفراق ، و أنا أتمنى قربك ، تخيلت إني سأنساك بمرور الوقت كما نسيتني أنت !!

أنا أتألم .. وأنت تتخيل سعادتي وراحتي بعدك ، لأنك لا تبالي بمن يذهب ولا بمن يعود ! لا تسعى خلف الماضي لأن حاضرك عامر بهن !!

كذبت عليَ كثيرا و تحملتك أكثر ، حتى فقدت الثقة بك فابتعدت ، وفي كل خطوة كنت أخطوها بعيدا عنك كنت أعود خطوتين ! ، لعلك تتغير ! لعلك تشعر بي ! لعلك تعترف بجرحك و تعتذر عما سببته لي من ألم و وجع !!

اخترت الابتعاد و أغلقت كل أبوابي و أوصدتها ، حتى لا تسول لك نفسك فتحها ، و لا تسول لي نفسي في لحظة ضعف طرقها !! حتى لا أضعف وأعود لمملكتك وأتعلق بك مرة أخرى !!

أتذكر كيف نصحتني ألا أتعلق بك أو بغيرك ؟! ، ولكن بعد أن تورطت معك ، أذقتني مر التعلق لأتجرعه كل ليلة و أتألم حتى الموت !!

قلت لي إنك تنسى سريعا وتخيلت إنني سأنسى مثلك !، فعلت كل ما نصحتني به لأنسى .

لعبت مع الصغار فلم أنسى ، ألهيت نفسي بألف ألم غيرك ، بألف كتاب ، بألف عمل ، بألف مشقة لآهلك تعبا ، كنت آهلك و لا أنسى ، نسيت نفسي و نسيت كل شيء ونسيت أن أنساك !!.

ما يحزنني إن كل شيء قد توقف عني ، الفرح والسعادة والراحة .. ما عدا تلك الدموع التي لا تتوقف أبدا !!

يقتلني الشوق كل ليلة ، رغم إنني اتخذت قرار الفراق الأبدي ، كل ليلة أتألم و أنتحر حنينا وشوقا !! فلم يكن سهلا عليَ أن أنسى نفسا سكنت بداخلي !؟

يا أنت !

اعلم إنني في لحظات الحنين أضعف ، و أكتب لك آلاف الرسائل بدموع قلبي ، لكنها تتحطم عند صخرة كبريائي وكرامتي !!، فأمحو رسائل قلبي بعقلي ، واكتفي بالاطمئنان عليك من بعيد !! لأعود باكية عندما أراك تعيش بدوني !، كأن شيئا لم يكن !! تتسامر مع هذه وتلهو مع تلك وتمرح .. وتتغزل في أخريات بكلماتك التي خلتها يومًا ما إنها ليَ !!

أبكي نادمة علي شوقي لك ، وأعود إلي حيث أنا كل ليلة ، أحارب الذكريات أحاول وأدها .. وأغوص بدموعي في بحور الحنين وأصارع الشوق وأنزف دمعا ، حتى يغلبني النوم !

تنهي الرسالة ثم تمحوها !!